Bina'u al-Qasidah Lada al-Sya'ir Usman Abdullah Yahya:

Dirasah Tahliliyah Adabiyah

Muhammad Tijjani Muhammad
Muhdtijjani2017@gmail.com
Kulliyah Muhammad Ghane, Nigeria

Abstract

The poem in Arabic literature from antiquity has its own structure make the poets and critics made this structure basis of their works and the Arabic poem is composed of several sections so the first line of the poem is the introduction. This study uses a qualitative approach with the method used being a Literature Review. Data is collected from various references, both from primary and secondary books, as well as from related articles. Then get rid, to the conclusion for whom he composed poetry the ancient poets adhered to it and the later critics adhered to it. and this article deals with the historical bag ground of the poet Usman Abdullahi Yahya as its touched on the structure of poems to reach the purpose deserved goal and achieve what he hoped for in the poems.

Keywords: Poem, Arabic Literature, Usman Abdullah Yahya

Abstrak

Puisi dalam sastra Arab sejak jaman dahulu memiliki struktur tersendiri yang menjadikan para penyair dan kritikus menjadikan struktur ini sebagai dasar karya mereka. Puisi Arab terdiri dari beberapa bagian, sehingga baris pertama puisi merupakan pengantar. Penelitian ini menggunakan pendekatan kualitatif dengan metode yang digunakan adalah Tinjauan Pustaka. Data dikumpulkan dari berbagai referensi, baik dari buku primer maupun sekunder, serta dari artikel terkait. Kemudian, untuk menyimpulkan untuk siapa ia menggubah puisi, para penyair kuno menganutnya dan para kritikus kemudian menganutnya. Artikel ini membahas tentang latar belakang sejarah penyair Usman Abdullahi Yahya karena menyentuh struktur puisi untuk mencapai tujuan yang diinginkan dan mencapai apa yang diharapkannya dalam puisi.

Kata Kunci: Puisi, Sastra Arab, Usman Abdullah Yahya

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

المقدمة

الحمد الذي أدب نبيه بالقرآن، وأطلق على لسانه جوامع الكلم والبيان، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد خير عباد الله أجمعين، القائل: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش."[١] وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كان لبناء القصيدة العربية منذ ولادتها حتى نضجت ونقلها الرواة إلينا، نمط معروف خاص بها، تبتدئ بذكر الديار والبكاء على الأطلال والوقوف عليها،[٢] وقد ينتقل الشاعر من بعدها إلى وصف الناقةأو الإبل أو الفرس، ويتوقف أحياناً لذكر المشاهد التي شاهدها، ثم يتخلص بعد هذا إلى الغرض الأساسي الذي يرمي إليه ويقصده،

ولقد كان الشاعر عثمان عبدالله يحي يلقي قصائده في أسلوب قيم جذاب مفعم بالحيوية والجودة، مما يساعد في كون أفكاره واضحة أمام الجمهور، ودقيقة في المعاني، باستخدام ألفاظ تلائم المعاني التي يسعى وراءها، وتراكيب خلابة توضح غرضه في القصائد. وليبين الباحث كيفية ذلك وما له من قيمة فنية كتب هذه المقالة بعنوان: بناء القصيدة لدى الشاعر عثمان عبدالله يحي دراسة أدبية تحليلية

عثمان عبدالله يحي هو الداعية الفقيه الأديب اللغوي، صاحب الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة، أبو حامد عثمان عبد الله يحيي ولد بقرية تَتَاكُرَا، الواقعة في منطقة رَانْ التابعة لحكومة إِنْغَالاَ المحلية سابقا، حكومة كَالاَبَلْغِي لاحقا، سنة ١٩٥٦م.

نشأ في بيت علم وأدب حيث أن والده الغُونِي عبد الله يحي، "ولد إِنْغَاسِي" من كبار العلماء والحفاظ في المنطقة، وله خمسة إخوة كلهم حفظة لكتاب الله العزيز، وكان جده يحيي ممن يشار إليهم

[١] البغوي، الحسين بن مسعود، الإمام، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط -محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي -دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٩٦/١، ص:

[٢] يوسف حسين بكار، (الدكتور)، بناء القصيدة في النقد الأدبي القديم، ط/١، بيروت لبنان، ١٩٨٢م، ص: ٢١٢

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

بالبنان في العلم والتقوى، وهكذا كانت أسرته متمسكة بالدين وحب العلم.[٣]

بدأ تلقي العلم منذ نعومة أظفاره عند والده الشيخ عبد الله يحيي، ومن ثم أرسله إلى الخلوة مع معلم اللّوَان إلى "تِكَالَه" بأرض "إنغُمَاتِه" ولما عاد صادف انتقال والده من تَتَاكُرَا إلى غَمْبُورُو، وفيها أرسل إلى معلم ومؤدب هو الشيخ عبد الكريم يحيي، فقرأ عليه القرآن والعلوم الدينية واللغة العربية، وعنه أخذ الطريقة التجانية. ثم التحق بكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، فى مدينة ميدغرى وتحصل على شهادة الدبلوم في الدراسات الإسلامية واللغة العربية والهوسا، سنة ١٩٨٦م.[٤]

وتحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة ميدغري سنة ١٩٩٣م. إن ما أنتجه الشاعر عثمان عبد الله يحي من دواوين وقصائد يثبت شاعريته في جميع المستويات، ذلك أن البيئة التي عاش فيها الشاعر تهئ له الجو ليكون شاعرا ذات عبقرية تتلاطم أموج البحور الشعرية فيه.

استهل الشاعر حياته في هذه البيئة الاجتماعية الطيبة، في بيت كريم بالدين جليل بالفقه، توارث أهله خدمة العلم والنقابة الصوفية، فنشأة الشاعر تحت هذه الدوحة المشرقة التي ضاءت ساحتها بالعلم والثقافة الإسلامية والعربية الواسعة، فدفعه كثرة تردد طلاب العلم إلى حلقة شيوخه أن يحرض رغبته العميقة للانضمام إلى الحلقة قبل نعومة أظفاره.

وأول ما كَوَّن قريحة الشاعر عثمان عبد الله يحي الشعرية هو قراءته للشعر، وقديما قالت العرب إذا أردت أن تكون شاعراً فاقرأ الشعر، فقد لازم الشاعر

[٣] دنامة محمد إبراهيم، الشعر العربي في منطقة إنقالا دراسة أدبية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة ولاية نصراوا، كيفي، ٢٠١٢م، ص: ١٥٧

[٤] بشير أحمد عمر، مختارات من شعر الرثاء في ولاية برنو في القرن العشرين، دراسة أدبية تحليلية، بحث قدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية جامعة باريرو كنو، عام ٢٠٠٨م ص: ٧٩

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

قراءة الدواوين الست للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، وكان يحفظ هذه الدواوين عن ظهر قلب، وأصبحت ديدنه وشغله اليومي، حتى استطاع أن ينظم القصائد، وذلك بعد أمنيات طويلة تحققت له في الآونة الأخيرة، وقد عالج في شعره بعض القضايا الاجتماعية وأعطى فيها رأيه مستهدفا إصلاحها متوخيا الارتفاع بها إلى مستوى المثل للتحقيق بمجتمع أفضل، وكان أسلوبه هو الأسلوب التعليمي البعيد عن المداورة، وعن كل زخرف وإطناب، وهو أسلوب التعليم في جفافه، وأسلوب النصح في تسلسله، وهو أسلوب الإقناع في رصانته وصرامته، لأنه يهدف إلى الإفصاح والإفهام والإصلاح.

المنهج

مدخل هذا البحث يأتي بدراسة كيفية ونوعه دراسة مكتبية هي إجراء بحث في المكتبات من خلال القراءة والدراسة وتدوين الملاحظات حول الآداب المختلفة أوقراءة المواد التي تتوافق مع الموضوع، ثم تصفيتها والمبينة في الإطار النظري. ومصادر البيانات تأتي بالمصدر الاساسي وطريقة جمع بياناته تجرى على تقنيات التوثيق. وطريقة تحليل بياناته تعتمد على تحليل المحتوى أو دراسة المحتوى هو منهج البحث تستخدم مجموع من الإجراءات لاستخلاص استنتاجات صحيحة من كتاب أو مستند.

البحث والمناقشة

بناء القصيدة لدى الشاعر

يعود المعنى اللغوي للبناء حسب وروده في القواميس والمعاجم اللغوية إلى نقيض الهدم، من بناه يبنيه بِنْيًا وبِناءً وبنيَانًا،[٥] أي أقام الجدار، ونحوه في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ وتستعمل الكلمة مجازا في معان كثيرة منها: تعمير المدن، وتكوين الرجال، كما وردت في قول الشاعر:

[٥] فيروزآبادي، القاموس المحيط،ج/٤، دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ص: ٣٠٥

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

يبني الرجال وغيره يبني القرى

شتان بين قرى وبين رجال

وتخيل النقاد في عالَمهم الداخلي صورة بناء القصائد مع البناء الحقيقي فأدركوا أن هناك علاقة ومشابهة بينهما فربطوا هذه الصورة بتلك وشبهوها بها[٦] .

كان لبناء القصيدة العربية منذ ولادتها حتى نضجت ونقلها الرواة إلينا، نمط معروف خاص بها، تبتدئ بذكر الديار والبكاء على الأطلال والوقوف عليها، وقد ينتقل الشاعر من بعدها إلى وصف الناقةأو الإبل أو الفرس، ويتوقف أحياناً لذكر المشاهد التي شاهدها، ثم يتخلص بعد هذا إلى الغرض الأساسي الذي يرمي إليه ويقصده، ويعتبر مقدمة للغرض الأساسي من القصيدة على نحو ما يرى في قصائد الشعر العمودي، بالأخص المختارات من الشعر الجاهلي، كالمعلقات وغيرها . ويختم قصيدته بالحكمة أو بشيء من الطرافة، يقول ابن رشيق: "للشعر مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل إلى اللهو والنسا.[٧]

وقد امتد هذا الأسلوب إلى ما بعد العصر الجاهلي عند بعض الشعراء، بل إلى ما بعد العصور المتتالية، كما يشاهد حتى اليوم في أشعار بعض العلماء الذين عاشوا في القرن التاسع عشر الميلادي، وما بعده كالكانمي في قصيدته "نسيم الصبا" و"عبد الله بن فوديو" في بعض أشعاره، وغيرهما، وذلك لشدة ارتباطهم بإنتاج شعراء الجاهلية وما كتب على منهجهم وأسلوبهم من المدائح، كـــ"بانت سعاد" لكعب بن زهير، و"البردة للبوصيري"، و"دالية اليوسي" في مدح شيخه، وغير هؤلاء، وكذلك لعدم تأثر بعضهم بمؤلفات النقد والشعر المخصصة.[٨]

---

[٦] نور عتيق بَلَارَبِي، فن المديح لدى القاضي عبد القادر الغُسَوِي، دراسة تحليلية، بحث مقدم لجامعة عثمان بن فودي صكتو، تكملة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، ص: ٨١

[٧] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط/٥، دار الجيل بيروت، ١٩٨١م، ص: ٢٩٦.

[٨] كياري إبراهيم الشريف (الدكتور)،البردة الجيمية للشيخ يوسف عبد القادر القرقري، تحقيق ودراسة أدبية، رسالة الدكتوراه في الدراسات العربية جامعة بايرو قسم اللغة العربية أغسطس ٢٠٠١م، ص: ٤٥٠

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

وقد حدد النقاد العرب للقصيدة العربية ملامح أساسية، وأشاروا إلى أنها تنقسم إلى ثلاثة أجزاء وهي: المطلع، والتخلص، والمقطع، وعلى الشاعر أن يجدّ ويجتهد فيها مع مراعاة استعطاف الجمهور واستمالتهم ، ويرى هؤلاء النقاد أن الشاعر المجيد هو من يعدل بين هذه الأقسام، من غير إطالة تبعث الملل إلى السامع، أو تقصير تودّ النفس معه أن لو كان الشاعر أطال[٩] .

هذا، وإن بناء القصيدة من الأشياء الضرورية لدى الشاعر الشيخ عثمان عبدالله يحيى، وذلك اقتداء بالقدامى في قرض الشعر، وقصائده مشتقة المعاني، لا يفاجئ السامع أفكارها ومعانيها عن الموضوع الذي يتناوله، وإن بناءه تام الخلق والتكوين، فصار واضح الاتجاه في معانيه، مصورا الظروف والمناسبات التي من أجلها نظم قصائده وصورها تصويرا صادقا وأمينا، وأن جلَّ بنائه على درجة الصدق الأدبي والأمانة الفنية.

براعة الاستهلال أو (مطلع القصيدة)

مطلع القصيدة هو أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك الكلام: إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني[١٠] .

وأطلق النقاد على المطلع حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال، وعنوا به عناية كبيرة، فإنه أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه، واستمتاع ما يجيء بعده من الكلام، وعدوا إجادته دليلا على مقدرة الأديب شاعراً كان أم ناثراً، فقد سئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: "من أجاد الابتداء والمطلع. وقال بعض الكُتّاب: أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان.[١١]

[٩] يوسف حسين بكار، (الدكتور)، كتاب بناء القصيدة في النقد العربي القديم، مرجع سابق، ص: ٢٠٣

[١٠] عبد الرحيم رائد مصطفى حسن، فن الرثاء في العصر الملوكي، ط١ دار الرازي عمّان، ٢٠٠٣م، ص: ٣٠٣

[١١] عبد الرحيم رائد مصطفى حسن، فن الرثاء في العصر الملوكي، ط١ دار الرازي عمّان، ٢٠٠٣م، ص: ٣٠٣

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

وقد اختلف وجهات نظر النقاد والأدباء في مفهوم المطلع، فيرى البعض أنه: البيت الأول من القصيدة، والبعض يلجأ إلى أن المطلع لا يراد به أول البيت، إنما يراد به أول كلام مبني على كلام سابق ومرتبط به، فنهاية الكلام السابق تسمى فصلًا، وبداية الكلام اللاحق والمبني عليه تسمى مطلعًا، كما أن الكلام اللاحق نفسه يسمى وصلاً. والبعض يرى أن المطلع هو البيت الأول من القصيدة[١٢] .

فيرى الباحث أن المطلع في القصيدة أولها، لأن الابتداء والافتتاح، والاستهلال، والمطلع، ما هي إلا تعبيرات لأن المقصود بها البدأ في كل شيء.وقَبِل النقاد من المطلع ما كان بيّنا واضحا لا غموض فيه، سهل المأخذ، لا تعقيد في تركيبه، ولا صعوبة في فهم معناه ،

وخلاصة القول إن أدب فحول الشعراء المجيدين في ابتداء القصائد أن يذكروا الأطلال والديار، ثم يتخلصون إلى النسيب، ثم بعد ذلك يدخلون في وصف الرحلة والناقة وغير ذلك، ثم ينتقلون إلى غرض القصيدة، وأما المراثي فيبدءون فيها بالتفجع واللوعة على ماحل بهم من المصائب.

ومن خلال دراسة الباحث لقصائد الشاعر لاحظ أن الشاعر له عدة أساليب في استهلال قصائده على النحو التالي:

أ – فتارة يستهل الشاعر قصيدته يستهل قصيدته بجذب انتباه قرائه وساميعه إلى أهمية مدحه لممدوحه باستعمال أسلوب الأمر البليغ الخارج عن مقتضى الظاهر، كما في قصيدته: (حديث الأقلام)

قف بالمحصب لامتداح السيد
نجل البتول قناة سنة أحمد

فقوله :" فق" بالمصحب يقصد به الإنتباه والإعتناء بمدح ممدوحه، وليس الوقوف بالمصحب حقيقة، وهذا الأسلوب من الأساليب البلاغية الجميلة.

[١٢] محمد خلف الله أحمد، مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبع الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧م ص: ٩٧

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

ب - وتارة يستهل قصائده بأسلوب النداء، فينادي ممدوحه على سبيل التلطف والتودد، وذلك كما في قصيدة أيا سلمى.

أيا سلمى بشأنك فأخبرينا
ولا تكدى لسائلك اليقينا

وقصيدة: بنت عبدالله:

بنتُ بنتِ وبان عنك غباء
فالدنايا أرض وأنت سماء

جـــ وتارة يستهل قصيدته بالدخول في موضوعه مباشرة ومخاطبة من قام برثائهم والترحم عليهم كما في قصيدة بكتكم:

بكتكم سماء وأرض بكت **
وصارت دموع دما إذهمت

وهذا فيه إشارة إلى أن الشاعر في موقف لا يقدر فيه أن يسيطر على نفسه حتى يستهل قصيدته بغير هذا الأسلوب.

د - وتارة يستهل قصيدته بأسلوب الإستفهام البليغ الخارج عن مقتضى الظاهر لجذب العقول إلى الحدث الذي سيتحدث عنه كما في قصيدته: ما بال داديري.

ما بال داديري تغير وضعها

وبها القلوب نوابض أوصالها

فقد دل هذا المطلع على عظم الحدث الذي سيتحدث عنه الشاعر، واستعمل فيه الشاعر أسلوب الاستفهام البليغ لجذب انتباه قرائه وسامعيه إلى ذلك، وليس لأنه يستفهم حقيقة.

ه- وتارة يستهل الشاعر قصيدته بالبسملة والحمدلة والتصلية ثم يشرع في موضوعه وذلك كما في قصيدته: رفع الشكوى:

باسم الإله ابتدئ تبركا

نظمي وأرجو يا كريم بركا

الحمدلله وصلى الله
علـــــــــى نبييـــــــه الذي أولاه

وقصيدته: أيا احمد

حمـــــــــــدا لمن أكرمنـــــــا
بأحمـــــــــــد ثم
الصـــــــــــلاة
والســـــــــــلام
سرمـــــــــــــدا

قصيدة منظومة العصا:

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

تدرعت بسم الله للحصن أولا فلا
ضرني من سام أو من تجاهـــــــلا

وبالله حولي واعتصامي وقوتي
فمن رام ضري فهو في قبضة البلا

إلا أنه حذف البسملة في قصيدته: يا أحمد، وحذف، الحمدلة، والتصلية في قصيدته: منظومة العصا علما بأن الواحد منهن تكفي في استهلال امثال هذه القصائد الدعائية التى يتوسل فيها ويتقرب إلى الله دفعا وجلبا.

وهذه الأساليب كلها معروفة يستعلها بعض الشعراء الإسلاميين أحيانا في قصائدهم.

حسن التخلص:

ويأتي بعد المطلع في البنية الشعرية التخلص، وهو الذي يحتوي على هيكل القصيدة ومضمونها ، وصورته على حد ابن الأثير هي: أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه فيكون بعضه آخذ برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنه أفرغ إفراغاً[١٣] ...

ولم يقتصر الأمر في بدء الكلام أو الخروج من النسيب إلى غرض القصيدة فقط كما يشعر هذا القول، بل يشمل أيّ تخلص من فكرة إلى أخرى في أي جزء من أجزاء النص، وهذ يفهم من قول بعض النقاد إذ يقول عن حسن التخلص: "هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى آخر بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى .

فنفهم من هذه العبارة أن التخلص يتمثل في الخروج من معنى إلى معنى مع ايجاد ربط وثيق بين المعنى السابق واللاحق، بحيث يكون السابق تمهيداً إلى اللاحق، وأنه يحتاج في تمثيله إلى نوع من الإحكام والإتقان بحيث يكون الخروج من معنى إلى آخر من غير قطع الكلام واستئناف كلام آخر، بل يكون موصولاً مع توفر ربط داخلي وثيق بين معنيين

[١٣] الحموي، تقي الدين أبوبكر علي بن عبد الله، خزانة الأدب وغاية الأرب، ط:١، ١٩٨٧م، دار مكتبة الهلال ببيروت، ج/١، ص: ٣٢٩

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

(السابق واللاحق)، ومما مثلوا به للتخلص الحسن قول أبي تمام:

تقول في قومس قومي وقد أخذت

منّا السّرى وخطا المهـــــــــــريّة القود

أمطلع الشمس تبغي أن تـــــــؤمّ بنـــا
فقلـت كلّا ولكن مطلع الجود

يلاحظ كيف تخلص الشاعر من وصف سيره ومقصده إلى المدح، إن حسن التخلص مثل هذا مما اعتنى به المتأخرون دون الشعراء الجاهليين ومن جرى مجراهم من المخضرمين، لأن الشعراء القدماء ومن حذا حذوهم يقولون عند فراغهم من النسيب ونعت الإبل وذكر القفار وماهم بسبيله، "دع عنك ذا" و "عد عن ذا" ويأخذون فيما يريدون .

وقد نهج الشاعر الشيخ عثمان عبدالله يحي هذا المنهج في قصائده، يتخلص من فكرة إلى أخرى بصورة لطيفة سلسة، حتى يكون القارئ لا يكاد يشعر بالانتقال من معنى إلى آخر إلا أن يجد نفسه في ذلك. ومن أحسنها قوله:

سعـدتم وســادت بكم شعبكم
ولولاكم شعبكم ما سمت

يلاحظ أن الشاعر إلتزم أسلوب الخطاب من بداية القصيدة إلى نهايتها إشارة إلى الاهتمام والعناية بموضوعه وبالحدث الذي هو فيه، كما في قصيدة: (بكتكم) من أولها إلى آخرها، فكأن الأشخاص الثلاثة الذين رثاهم ماثلين أمامه يخاطبهم ويترحم عليهم، وهذا الأسلوب فيه ما فيه من الحسن لمناسبة الحال[١٤].

وأحياناً يتلخص الشاعر إلى موضوعه بأسلوب التنبيه والتشويق ليستعد القارئ أو السامع إلى التلقي، كما في قصيدته: (يا أحمد).

فهذه سلسلتي الوافيه

لجمعها رجال علم حاوية

[١٤] ابن رشيق القيرواين، العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده، ج/١، مرجع سابق، ص: ١٤٧

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

وفي قصائد التوسل الأخرى يتخلص الشاعر بعد الاستهلال بالبسملة والحمدلة والتصلية إلى الموضوع بادئاً بمناجاة الله بأسلوب الخطاب من البدايات إلى النهايات. كما في قصيدة: منظومة العصا ورفع الشكوى إلى عالم السر والنجوى. وهو أسلوب حسن فيه ما فيه من الشعور بعظمة الخالق والوقوف بين يديه بالأدب والتعظيم والمشاهدة والمراقبة وعدم الالتفات إلى غيره.

وبالجملة، فإن الشاعر تختلف أساليبه عند التخلص إلى موضوعه، وكلها حسنة مناسبة لواقع الموضوع الذي من أجله ألف القصيدة.

حسن الإنتهاء (براعة الختام)

إذا كان المطلع مفتاح الشعر ومدخله، كان أجدر أن تكون الخاتمة قفلة ومسده، لأنها اللبنة الأخيرة التي يضعها الشاعر في بناء القصيدة، فينبغي للشاعر أن يحسنها ويجوّدها، لأن الخاتمة أبقى في السمع، وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن الكلام وإن قبحت قبح الكلام والأعمال بخواتيمها، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد أشار النقاد إلى ضرورة إحكامها وتجويد السبك فيها لكونها قاعدة القصيدة، وآخر ما تبقى منها في الأسماع، فلا يستحسن الزيادة عليها كما لا يستحسن أن يأتي الشاعر بعدها بأحسن منها .

إذن حسن المقطع أو الخاتمة هو مراعاة حسن آخر البيت أو القصيدة، ولم يكن أقل شأنا من مراعاة جودة الابتداء في القصيدة، ولذلك اهتم البلغاء أن ينهوا كلامهم بأبلغ لفظ وأجمل معنى، واهتموا بأن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها.

ومما مثلوا به للمقاطع الجيدة قول الشاعر في آخر قصيدة حث بها جنود سيف الدولة للقاء الروم في بعض المغامرات؛ لخوفهم على الجنود لكثرتهم. قائلا:

وما الخوفُ إلا ما تَوقعهُ الفَتى

ولا الأمن إلا مَا رآه الْفَتى أَمْنا

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

فقد لخص الشاعر ما قاله من تشجيعهم في صورة واضحة بأسلوب بين وبطريقة يحفظونها في صدورهم وتثبت في أذهانهم خلال مغامراتهم مع العدوّ.

ومن مقاطع الشعر الجيدة قول الشاعر ابن الزبعري في آخر قصيدة يعتذر فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويستعطفه فقال:

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت
واقبل تضرّع مستضيف تائب

فالشاعر جعل نفسه مستضيفا، ومن حق المستضيف أن يضاف، وإذا أضيف فمن حقه أن يصان، ثم ذكر تضرعه وتوبته مما سلف، وجعل العفو عنه فضيلة، وبهذا جمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو.

وبالرجوع إلى مقطع قصائد الشاعر الشيخ عثمان عبدالله يحي المختارة نجدها صبغت بهذا اللون الاختتامي فبعضها فيها الحكمة والموعظة، والبعض مؤثرة فيها من الدعاء، أو بالصلاة والسلام على النبي المختار صلى الله عليه وسلم، وأصحابه وآل بيته الكرام، وفي هذا الصدد يلجأ الشاعر إلى استخدام الرقة في أسلوبه، حيث يستخدم لغة سهلة عاطفية شيقة .

وكان النقاد يحسنون ذلك في مدح الملوك، والأمراء، والحكام، والمدائح النبوية، وما له علاقة بها. لما يتجلى فيها من المعاني الروحية التي تصور تعلق الشعراء الصوفيين بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانة مشايخهم. وإما أن يكون مقطع القصيدة يوحي غالبا بانتهاء الكلام، وذلك إما بالحمدلة والصلصلة، أو الدعاء للمتوفى كقول أمير المؤمنين محمد بلّو يرثي عمه الشيخ عبد الله بن فودي رضي الله عنه، قائلا:

فالله يغفر للجميع بفضـله
ويجود فضلا للجميع بوهبه
فله المحامد والفضائل والعلى
وصـلاتـــه أبـــدًا لحـائز قربه
والآل شيعته الكرام وصحبه
والصادقـــين القائمـــــين بحبه

فالشاعر جعل المقطع يوحيبشدة تغلب عاطفته الدينية على عاطفته الأدبية، لذا اختتم مرثيته بالدعاء؛ طلبًا للمغفرة

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

والرحمة من الله ذي الفضل والكرم، وصلى على النبي المختار صلى الله عليه وسلم في ألفاظ سهلة وتعبير رائع[١٥].

وبمجرد استعراض هذه القصائد على هذا المفهوم للخاتمة تتجلى أمامنا عناية هذا الشاعر بالخاتمة عناية فائقة،وسلك هذا المسلك في مقاطع قصائده المختارة حيث يطابق هذا النظام ويضع المقطع في شكل خلاب جذاب يبقى في ذهن السامع كما اشترط النقاد، وكلها تنم عن الغرض الذي سيقت من أجله .

وقد لاحظ الباحث بعد إمعان النظر في نهايات هذه القصائد المدروسة أن الشاعر نهج عدة أساليب على النحو التالي:

أ- أحيانا يختم قصيدته بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والآل، وذلك كما في قصيدته:

بكتكم ثم الصلاة مع السلام على ** النبي والصحب من بنفوسهم جادوا بها

وهكذا بالنسبة لقصائده: حديث الأقلام وبنت عبدالله و مابال داديري) (يا أحمد) منظومة العصا على من طغى وعصى.

ب – وأحيانا يختم بخاتمة جميلة تدل على أنه وصل فعلا إلى آخر ما يقصده من قول، كما في آخر قصيدته :" أيا سلمى" قال في ختامها:

فخذ بيدي وأوصلني وقل لي ** مريري هاهنا اشرب معينا

فقد دلت هذه الخاتمة على أن الشاعر أتى إلى نهاية القصيدة بإتيانه إلى آخر غرضه من ممدوحه وهو أن يقبله ويوصله إلى المعرفة والعلم واليقين بالله تعالى.

وكذلك قصيدته في رثاء الحفاظ الثلاثة قال في ختامها:

وساعة ربي إذا حصلت **
فلا مفر مما قضى لا فلت

ففـــــــردوس أنزلهـــم ربيـــا **
وقـــوٍّ قلـــــوبا وقهـــــا الفلت

[١٥] الحموي، تقي الدين أبوبكر علي بن عبد الله، خزانة الأدب وغاية الأرب،مرجع سابق، ص:١٢٣

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

فقد دل هذا الختام الدعائي على أن القصيدة قد انتهت ولا ينتظر القارئ أو السامع إلى شيء آخر .

وبهذا يستطيع الباحث أن يقول: إن الشاعر يحسن الانتهاء في عمله الشعري كما دلت عليه هذه القصائد المدروسة.

الخلاصة

يمثل ما مر في المقالة بناء القصيدة بناء القصيدة لدى الشاعر عثمان عبدالله يحي دراسة أدبية تحليلية، وقد استهل الباحث بالمقدمة مبيّنا فيها أهمية المقالة ودورها في توضيح موهبة الشاعر في صناعة الشعر، ثم أتى بلمحة وجيزة عن تاريخ الشاعر فبيّن حياته من حيث الولادة والنشأة والتعلم، وما قام به من أدوار فعالة في خدمة الأدب العربي. بعد ذلك انتقل الباحث إلى بناء القصيدة فعرّفها تعريفا معجميا واصطلاحيا، ووضح أن النقاد قد اهتموا بها كثيرا لما لها من دور فعال في إيصال رسالة الشاعر. ومن هنا شرع الباحث يفصل القول في قصائد الشاعر؛ من حيث الافتتاح، والتخلص، والاختتام. وقد ظهر جليا أن الشاعر يهتم ببناء القصائد في قصائده ويصوغها في قالب جذاب وبأسلوب جيد مما أثبت براعته في الشعر العربي. وهذا ما قصده الباحث.

References

ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق الدكتور أحمد الجوفي وغيره، مكتبة النهضة، مصر، ط١، السنة ١٣٨١ه ١٩٦٩م،

ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط/٥، دار الجيل بيروت، ١٩٨١م،

ابن منظور، الإفريقي المصري، العلامة، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٦٥م، ج/٤،

أحمد أحمد بدوي، (الدكتور)، أسس النقد الأدبي عند العرب، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، عام ١٩٩٦م،

البغوي، الحسين بن مسعود، الإمام، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب

Dzil Majaz: Journal of Arabic Literature
Vol. 2 No. 2 July 2024 E-ISSN: 2985-7481
Submitted: 19-08-2024, Revised: 21-08-2024, Accepted: 25-08-2024, Published: 25-08-2024

الإسلامي -دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٩٦/١

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط/٤، سنة ١٩٩٠م،

الحموي، تقي الدين أبوبكر علي بن عبد الله، خزانة الأدب وغاية الأرب، ط:١، ١٩٨٧م، دار مكتبة الهلال ببيروت، ج/١

الحموي، تقي الدين أبوبكر علي بن عبد الله، خزانة الأدب وغاية الأرب،مرجع سابق،

عبد الرحيم رائد مصطفى حسن، فن الرثاء في العصر الملوكي، ط١ دار الرازي عمّان، ٢٠٠٣م،

العسكري،أبو هلال،الصناعتين، مطبعة محمد علي صبيح، بدون تاريخ،

فيروزآبادي، القاموس المحيط،ج/٤، دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م،

كياري إبراهيم الشريف (الدكتور)،البردة الجيمية للشيخ يوسف عبد القادر القرقري، تحقيق ودراسة أدبية، رسالة الدكتوراه في الدراسات العربية جامعة بايرو قسم اللغة العربية أغسطس ٢٠٠١م،

محمد خلف الله أحمد، مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبع الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧م

نور عتيق بَلَارَبِي، فن المديح لدى القاضي عبد القادر الغُسَوِي، دراسة تحليلية، بحث مقدم لجامعة عثمان بن فودي صكتو، تكملة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م،

يوسف حسين بكار، (الدكتور)، بناء القصيدة في النقد الأدبي القديم، ط/١، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.